الآداب

المجلد:22، العـــدد:01، ديسمبر 2022

الصفحات: 177-196 ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

القصة القصيرة جدا بين جدلية التراث والحداثة / مقاربة في نقد النقد

The Very Short Story between the Duality of Heritage and Modernity / An Approach to Criticism of Criticism

[1] ط.د. فتيحة مجمم

[2] أ.د. وافية بن مسعود

[1] جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1-الجزائر، fatihamdj30@gmail.com

[2] جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1-الجزائر، dr.ouafia80gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/01/09 تاريخ القبول: 2022/07/02 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في مسألتي حضور التراث العربي القديم في القصّة القصيرة جدّا، من خلال ما تتوسّل به من تقانات وخصوصيات فنّية شبيهة بتيمات السرود العربية القديمة، والكشف عن مواضع التجديد فيها من خلال ما تستحضره من آليات التجريب والتحديث في عناصرها ومعاييرها الجمالية وموضوعاتها، من هنا ظهرت إشكالية تصنيف هذا الفن، هل يمكن إرجاعه للتراث السردي القديم، أم أنّه كتابة فنّية جرفها الفكر الحداثي معه؟ قدّم ثلّة من الباحثين مقولات نقدية حول هذا الجدل، وُضعت تحت مجهر النقد والدراسة بالتفسير والتقييم. وقد أفرزت آراؤهم النقدية نتيجة مفادها: إنّ القصّة القصيرة جدّا تحمل تيمات سردية تعود للموروث العربي القديم، وبالمقابل تحتوي على خصوصيات جمالية وفنّية تمثّل مظاهر الحداثة والمعاصرة.

كلمات مفتاحية: قصّة قصيرة جدّا؛ تراث؛ حداثة؛ أصالة؛ معاصرة؛ تجريب.

Abstract:

This study seeks to explore the issues of the presence of ancient Arab heritage in The very short story, through its cultivation of artistic techniques and specificities similar to those of ancient Arabic narratives. It also explores the places of renewal in it through the mechanisms of experimentation and modernization it conjures up in its elements, aesthetic standards and themes. From here, the problem of classifying this art has arisen. Can it be traced back to the ancient narrative heritage, or is it an artistic writing that has been brought up by modernist thought. A group of researchers provided critical arguments on this controversy. These arguments were studied in detail through interpretation and evaluation. The result

المؤلف المراسل: فتيحة مجمم.

of their critical opinions was: the very short story bears narrative themes belonging to the ancient Arab heritage and, conversely, contains aesthetic and artistic peculiarities representing the manifestations of modernity and contemporary art.
Keywords: *the very short tale; heritage; modernity; authenticity; contemporary; experimentation*.

مقدمة:

أثارت القصّة القصيرة جدّا جدلا واسعا حول حقيقة وجودها ضمن الأجناس الأدبية الأخرى، بوصفها جنسا دخيلا لم يتم الاعتراف به بعد، وفي المقابل عرفت حضورا قويا من ناحية الإبداع والتلقي استرعى انتباه النقّاد واهتمامهم، تَجسّد هذا الاهتمام في محاولة ضبط مفاهيمها وحدودها وأصولها. وقد تعدّدت الآراء واختلفت في قضية تصنيفها مع باقي السرود، وعليه وقف المبدعون على عتبة هذا المشروع الجديد بالتأسيس لمعاييره الفنّية والجمالية، ومن جهة أخرى أخذ النقّاد مهمّة البحث في تكوينه لمعرفة مدى تطوّره تاريخيا، وتقييم حضوره في الواقع الأدبي والثقافي، والنظر في شروطه وفي قضية تجنيسه.

يعد الأدب ابن بيئته وبه تصوّر اللحظات وتُسجَّل المواقف التي تعيشها البشرية، فيعبّر عن عاداتهم وتقاليدهم وينقل أحوالهم عبر السنين، وقد وجد له مبررات كثّفت حضوره واستمراريته، فتنوعت أشكاله، وتعدّدت أنساقه الثقافية والمعرفية بحسب إفرازات الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والإيديولوجية، ومن ضمن تلك الأشكال السردية ظهر خطاب القصّة القصيرة جدّا، والذي نشأ في ظروف مناسبة ساهمت في تكوينه وانتشاره في فترة وجيزة سمحت بقبوله بقوة من طرف المبدعين والقرّاء، وخاصّة بعد إطلالته على الفترات الانتقالية التي عاشها العالم منذ عصر النهضة، مع موجة التنوير والانفتاح على الفكر الحداثي؛ حيث تحوّلت معها مظاهر الحياة وأخذت مسارات تشكّل جديدة تهتم بقضايا الانسان وطموحاته، وتبحث في القيم الجمالية والثقافية والاجتماعية، رافق القاص تلك المتغيرات واقترب من الباطن الإنساني ولامس جوانب من حياته، محاولا بذلك تلخيص أدّق الانعطافات والمستجدات في نماذج قصصية قصيرة جدّا ، والسعي نحو تحرير النص السردي من النموذج الماضي، وصناعة تشكيلات جديدة تلخّص معاني الحرية والقيم، والتجدّد والطموح، وإسقاطها في

هذا الفن الذي يقترب من التحرّر وينفلت من الثبات و السكون، ليصبح نوعا فنّيا يضمر أنساقا جديدة، تحمل قدرات الوعي بالمثاقفة واقتحام شروط التجريب، والتي غيّرت أفق النص القصصي وكسرت نسقية النص التقليدي، ومن الصفات التي اجتمعت في النص الحداثي نجد مثلا: "الهدف، الترميز، النظام، المجاز، التفسير، العمق، ما وراء الطبيعة"[1] أخذ هذا الفن من تلك التيمات التي جعلت منه قطعة فنّية متمرّدة على النص السردي الكلاسيكي في عناصره وأهدافه وموضوعاته؛ بوصفه نصّا حداثيا يحاكي الواقع المعيشي للإنسان الذي عاش عدّة انكسارات في حياته، فيصوّرها بكل تفاصيلها العميقة منها والبسيطة، وعليه حاول المبدعون إعادة الذات البشرية إلى مقامها الإنساني، حيث الصفاء والحرية والاستقرار. وبحكم تلك التجاوزات الشكلية والمضمونية لهذا الفن، تمكّن من جذب جمهور القرّاء لأنّه لمس البواطن الحساسة من حياته، ومن جهة أخرى لقي اهتماما كبيرا في الساحة الأدبية لأنّه أتى بالجديد قلبا وقالبا، ومثّل الواقع بمختلف انعطافاته.

استطاع هذا الفن أيضا الاستمرار في التنويع في قوالبه وأسلوبه وقيّمه الجمالية، عبر مسارات اندماجه مع مختلف الفلسفات والتيارات التي أتى بها فكر ما بعد الحداثة؛ وهذه الموجة الجديدة جاءت بأفكار تناقض الفكر الحداثي ومرّات أخرى تكمّله، وتصحّح مفاهيمه، وقد تم توصيف مجاله بـ: "الفيزيقا، الشكل المضاد، العبث، الفوضى، تفكيك وهدم، نص داخلي، سخرية، أسلوب شخصي، بلاغة، متغيّر"[2] استجاب هذا الفن لمجريات وشروط ما بعد الحداثة، وذلك من خلال توظيف بعض التيمات من: السخرية، والمتغير، والتفكيك والهدم، والفيزيقا في أساليبه القصصية، ولكنه في المقابل لم يأخذ من كلّ تفاصيلها التي تبعث على الفوضى والهدم واللاّنتماء، فأغلب المجموعات القصصية نجدها هادفة. من هنا نستنتج بأنّ العودة لتيار ما بعد الحداثة لابد أن يكون بوعي تام؛ وذلك بالحذر من السقوط في المسارات العبثية والهدّامة، وقد صرّح النقّاد بأنّها حركة مكمّلة للفكر الحداثي وإعادة قراءة له، فلماذا إذا لا تكون قراءة تصحيحية لمفاهيم تتجّه نحو المناحي الإيجابية تخدم العقل والفكر العربي. ومن جهة أخرى لابد من التعامل مع الحداثة من الناحية الإيجابية أيضا، وذلك بالتطلع نحو المغايرة والتجديد المستمر فكرا وإبداعا، مع جواز العودة إلى التراث العربي القديم وتوظيفه في قوالب

حداثية لا تغيّر من جوهره شيئا، ولا تسقط منه لا الهوية ولا الأصول العربية بفلسفاتها وأفكارها وإبداعاتها.

استمرت القصّة القصيرة جدّا في ابتكار طرائق جديدة وأساليب تعبيرية مغايرة، تجاوزت المألوف، حتى تمكّنت من دخول عالم الويب والتماهي مع النصوص الترابطية، لتتنوّع قوالبها وموضوعاتها وتصبح مطلبا ضروريا في مجال الحياة الاجتماعية، ولاسيما المتلقي الذي أثارته القراءات القصيرة جدّا فصار يختارها على خلاف القراءات المطوّلة. وعليه أضحى هذا اللون الإبداعي الجديد نصّا يتوسّل بالظروف السريعة وبالتكنولوجيا حتى يثبت استمراريته. وقد تعددّت الآراء واختلفت حول قضية تأصيله وتأسيسه، ومن هنا جاءت الحاجة للبحث في هويته، وذلك من خلال الوقوف على مجموعة إشكالات تكون بمثابة عتبة للدخول إلى عالمه الهلامي، وذلك من خلال تقييم بعض المقولات النقدية التي عالجت قضية تأسيسه، وخصوصا بعد ظهور فكرة محاكاته للنماذج السردية التراثية، وفي هذا الصدد ظهر فريقان حول هذه المسألة، فريق أرجع أصول هذا الفن للتراث العربي القديم، والآخر عدّ البيئة الحديثة والمعاصرة منبتا له. وقبل الخوض في هذه الإشكالية لابد من التعريج على مفهومه.

1-مفهوم القصّة القصيرة جدّا:

وضع المنظّرون مجموعة مفاهيم مختلفة لفن القصّة القصيرة جدّا، ولم يجمعوا على تعريف موحّد لها، بوصفها نوعا هلاميا لم يتم تجنيسها وتوضيح حدودها بعد، ولهذا صعب تحديد مفاصلها. وعليه حاولوا توصيفها بتيمات وخصائص فنّية تعبّر عن معمارها وتركيبتها الجديدة والمغايرة للسرود الأخرى، ووضعها في مأسسة افتراضية تقترب من جوهرها، إلى غاية التئام بنيانها وعناصرها الثابتة.

ومن التعاريف التي قيلت في سياق تحديد مفهوميتها، نجد قول (أحمد جاسم الحسين): "إنّها قصّة أولا وقصيرة جدّا ثانيا، قصّة بمعنى أنّها تنتمي للقصّ حدثا وحكاية وتشويقا ونموا وروحا وتنتمي للتكثيف فكرا واقتصادا ولغة وتقنيات وخصائص"[3] أعطى الباحث لهذا الفن تيمتين جوهريتين هما: تجنيسها بالقصّة وتمييزها بالقصر الشديد، وعلى هذا الأساس صارت نوعا مقبولا في الواقع الأدبي بحكم تمثّلها لصورة الحكاية القصيرة جدّا، وهذه العلامات ساهمت في ترسيخ مكانتها في المشهد الثقافي في فترة وجيزة، نظرا لما انفردت به من تيمات التكثيف والتشويق والاقتضاب اللغوي، والجمالية

في تشكيلاتها البلاغية والأسلوبية، وتعدد قوالبها، وانفتاحها على باقي الأجناس الأدبية الأخرى. قدّم (محمود شقير) تعريفا آخر للقصّة القصيرة جدّا وعنها يقول: "هذا اللون من القصص يعتمد التقشّف في اللغة والتكثيف والشاعرية والمفارقات أيضا، وينتهي عادة نهاية مدهشة أو صادمة للمتلقي. أعتقد أن القصّة القصيرة جدّا تشبه طلقة الصياد التي تنطلق إلى هدفها بسرعة خارقة وتصيب الهدف من دون تردد"[4] عدّ الباحث هذا الفنّ لونا أدبيا تشكّل من صنعة الاقتصاد اللغوي والتكثيف في الكلمات، ليصبح قطعة قصصية موجزة يستقبلها القارئ دفعة واحدة بمعانيها السريعة. وعليه وقف الأدباء والنقّاد عند عتبة هذا الفن بالممارسة والتنظير، محاولين تفسيره والتأسيس له انطلاقا من خصوصياته الظاهرة، والعودة إلى الموروث العربي القديم الذي احتوى على النصوص القصصية القصيرة جدّا، والبحث في مادته للخروج بقوانين تؤسّس لمشروعه وتثبت استقلاليته. أضحت القصّة القصيرة جدّا هاجس التلقي مؤخرا، وهذا ما فتح التساؤل حول مكوناتها وتفاصيلها السردية. من هذا المنطلق وقف النقّاد والكتّاب عند هذه القضية بالمحاورات والتنقيب عن هويتها، متسائلين: هل وجود هذا الفن يرجع للسرود العربية القديمة؟ أم أنّه مولود جديد تزامن ظهوره مع مبررات الفكر الحداثي وما بعده؟ وللإجابة عن هذا الطرح اخترنا بعض الآراء النقدية التي أحاطت بالقصّة القصيرة جدّا تنظيرا وتطبيقا، وفيها أجاب الباحثون والمنظرون عن هذه التساؤلات.

2-القصّة القصيرة جدّا والتراث العربي القديم، علاقة اتصال أم انفصال:

عرفت السرود العربية قديما عدّة أشكال قصصية، كانت بمثابة النبض الذي سجّل كل مظاهر الحياة حينها وقد حُفظت تلك الأعمال الإبداعية في بطون أمهات الكتب، ولاتزال ليومنا هذا مرجعا يقتات منه الأدباء. وحين وقف النقّاد على مهمّة التنظير للأجناس الأدبية رجعوا للتفتيش عن الخيوط الكبرى التي تربطها بالتراث العربي القديم، لتبدو لهم بعد البحث متشابهات تجمع بين القصّة القصيرة جدّا وتلك السرود، بالتالي خلقت الشك حول احتمالية امتدادها للتراث العربي، ليظهر بذلك توجهان نقديان حول هذه المسألة: فئة أرجعت القصّة القصيرة جدّا للسرد العربي القديم، وفئة أخرى عدّتها فنّا جديدا لا امتداد له للتراث. وقف النقّاد على قضية تجنيس القصّة القصيرة جدّا والتأسيس لها لإضافتها إلى مصاف الأجناس الأدبية الأخرى، وقبل الشروع في عملية التنظير لها عاد فئة منهم بهذا

الفن إلى الوراء، معتبرين إياه تشكيلا سرديا قديما له بوادر ظهور ساهمت في بلورته وقد تلخصّت في عدّة أشكال نثرية تمثّلت في الحكايات والأخبار والنوادر، لنجد الباحث (نور الدين الفيلالي) من الباحثين الذين أقرّوا بامتداد هذا الفن إلى السرود العربية القديمة، ملاحظا بذلك وجود تشابه بين تيمات هذا الفن وخصوصيات السرود القصيرة قديما، وفي هذا السياق يقول: "إنّ ما يهمنا من هذه النماذج السردية التراثية، سواء جاءت تحت اسم نادرة أو خبر أو غيرها من المسميات، هو ما تحتويه من قواسم مشتركة مع بنية القصّة القصيرة جدّا، ممّا يفتح المجال أمام إمكانات مهمة للاستفادة منها في تدعيم القصّة القصيرة جدّا"[5] عدّ الباحث هذا اللون الأدبي نصّا شبيها بالأشكال السردية القديمة، وهذا المشترك السردي بينهما يعطي الإشارة لتأصيل هذا النوع الجديد مع التراث العربي القديم، وإن لم يكن المصطلح شائعا حينها، بل مجرّد تلميحات قصصية جاءت على شاكلة الخبر والنوادر وغيرها من النماذج، حيث لفتت انتباه الباحث لها؛ وذلك لوجود محكيات قصيرة جدا تتشابه من حيث البنية مع القصّة القصيرة جدا.

نجد في الطرح الذي قدّمه (نور الدين الفيلالي) وباقي الباحثين الذين كانت لهم نفس الوجهة أمثال (سعاد مسكين وجميل حمداوي)، إجحافا في حقّ المبدعين الذين أنتجوا نصوصا قصصية قصيرة جدّا، مختلفة في معمارها وخصوصياتها الجوهرية عن الموروث السردي القديم، ومن هذه النقطة نقول: إنّه حكم قسري على هذا الفن في حدّ ذاته، بوصله للقديم دائما، فيجب أن ندرك بوجود فرق مهم بين مصطلح المحكي الذي يعد نمطا تعبيريا، ومصطلح القصة التي تعد جنسا أدبيا، غير أن التقارب الشكلي والصيغي وارد جدا بين القصّة القصيرة جدّا والسرود القديمة، وأغلب الأشكال السردية التي انتشرت حينها تعد من قبيل الكتابة السردية القصيرة جدّا، بالتالي وجد (نور الدين الفيلالي) وغيره من الباحثين في هذه الأشكال القديمة اللبنة الأولى التي انطلق منها فنّ القصّ القصير جدّا، ولاسيما وأنّ بطون أمهات الكتب تحفل بعديد النوادر والأخبار والحكايات القصيرة جدّا. والنادرة عرّفها أحد الباحثين "أنّها أقصوصة مرحة، تتكون من وحدة سردية مستقلة بذاتها، ومن ثمّ فهي تتسم بالإيجاز بل هي وحدة ممعنة في القصر، محدودة الشخصيات، نمطية الأبطال، وتتكون من عنصر قصصي واحد، يدور موضوعها حول وقائع الحياة اليومية، والتجارب الشخصية الإنسانية"[6] هذه المقولة توحي بوجود

تقارب بين فنّ القصّة والنادرة حيث يختزلان الأحداث والشخصيات في بنية قصصية مركّزة، لغتها مقتضبة وحجمها مختزل، بالتالي صارت العلاقة بين الفن القصصي الحديث والقديم ممتدة، لوجود متشابهات سردية فيما بين الأشكال النثرية القديمة وهذا الفن.

وبعد تحليل وتقييم الأطاريح التي قدّمها (نور الدين الفيلالي) وغيره من الباحثين لا نستطيع الجزم بهذه النتيجة التي توصّلوا إليها، فلا يمكن إرجاع أصول القصّة القصيرة جدّا لتلك الأشكال السردية القديمة، بمجرد وجود تشابه وتماثل ضمني أو شكلي بينهما، لأن ذلك يحتاج إلى كثير من التدقيق النقدي لمثل تلك المتشابهات، خصوصا وأن هذا النوع الأدبي الجديد لم يتم تجنيسه وتقنينه، وتحديد معاييره الثابتة بعد، ليوضع في حقل المقارنة والمشابهة مع باقي الأجناس الأدبية الأخرى. إضافة إلى أنّ الخصوصية الفنّية والجمالية التي تنفرد بها القصّة القصيرة جدّا لا وجود لعلاقة بينها وبين الخصائص التي تميّز السرود العربية القديمة، إلاّ في بعض السمات؛ فالفنون النثرية مثل: النكتة والنادرة عبارة عن مواقف فكاهية أسلوبها في الغالب يعتمد المحسنات البديعية، ولا علاقة بينها وبين أساليب هذا الفن إلاّ في بعض التيمات من الطرافة والإدهاش، أمّا الخبر فهو مجرّد قول نثري يسرد حادثة ما، لغته بسيطة ومباشرة لا شعرية فيه ولا تكثيف، ولا حتى نهاية مدهشة أو مفارقة، مفتاحه السردي هو: "حدثنا وحدثني"، لذلك عدّ النقّاد هذه الفاتحة النمطية بمثابة تنبيه لاعتبار الخبر قصّة في حدّ ذاتها، لكنه في حقيقته عبارة عن وسيلة قولية لنقل الأخبار وتوثيقها عن طريق السند أو الرواة، وغالبا ما تكون تلك الأخبار المنقولة مجرّد روايات شفوية، تروي أيام العرب، بالتالي لا يمكن عدّها نموذجا قصصيا بُني عليه فنّ القصّة القصيرة جدّا بمجرّد الشبه بينهما. والنادرة والحكايات الأخرى قريبة من الخبر لا تمتلك تيمات القصّ القصصي جدا، سوى أنّها قول نثري تحكمه بنية سردية إخبارية وتقريرية، غالبا ما تحضرها سمات البلاغة واللغة الفنّية، بالتالي يمكن عدّ هذا الامتداد مجرّد تشبيه بين هذا الفن والفنون النثرية القديمة في الحجم والتصوير البلاغي. كما نجد (جميل حمداوي) أيضا قد أرجع جذور القصّة القصيرة جدّا للأشكال السردية النثرية المتواجدة في الموروث العربي القديم من: "الحديث، الخبر، الفكاهة، النادرة، المستملحة، والطرفة والأحجية، والكلام، والحكاية، والقصّة والمقامة، واللغز والآية، وهذا يعني أنّ للقصّة القصيرة جدّا جذورا عربية قديمة تتمثل في السور القرآنية القصيرة، والأحاديث

النبوية الشريفة وأخبار البخلاء واللصوص المغفلين والحمقى وأحاديث السمار... ومن ثم، يمكن اعتبار الفن الجديد امتدادا تراثيا للنادرة، والخبر، والنكتة والقصّة"[7] يرى الباحث في القصّة القصيرة جدّا نموذجا مستوحى من السرود العربية القديمة؛ من القصص والأخبار المختلفة، حيث سيقت على شاكلة تلك الأنواع ويستشهد على ذلك بوجود تلك القصص في كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، والتي تعجّ بمجموعة قصص اتخذت طابعا تراثيا ورمزيا واجتماعيا"[8] وهذه الالتفاتة للوراء مبرّرها أن هذا الفن تشكيلته السردية شبيهة بتلك السرود القديمة بدليل وجودها في سياق القصص القرآنية وبعض الحكايات، لذا عدّها بمثابة قصص قصيرة اختلفت في موضوعاتها ومقاماتها، والفارق بينها هو تسميتها، وعلى هذا الأساس اعتبر النقّاد هذا التماثل الشكلي والموضوعاتي بين القصّة القصيرة جدّا والتراث السردي القديم إشارة لانفتاح النصوص الأدبية على بعضها وتماهيها فيما بينها. كلّ جنس أدبي يختص بتيمات معينة تفصله عن الجنس الآخر، وهذا الفن له فرادة في بعض التيمات من التكثيف الشديد وشعرية القص، ولاسيما الحجم المعدودة كلماته، والقاصون في هذا اللون الأدبي يختارون الألفاظ بعناية؛ حيث يركّزون على الأحداث المختصرة والتشكيلة القصصية المختلفة عن سابقاتها من الموروثات القديمة.

بناء على ما سبق يمكننا القول بوجود امتداد وحلقة وصل بين هذا الفن والنص السردي القديم بحكم المتشابهات التي وجدها المنظّرون بينه وبين الأشكال القديمة، ومن جهة أخرى يمكن النظر إليه من زاوية أخرى بأنّه وليد اللحظة السريعة التي عايشها القاص في فترة زمنية معاصرة، بالتالي لا يمكن عدّه فقط وليد الخبر أو النادرة أو أي فن نثري قديم، مادامت السرود تتشابه في بعض المعطيات، فكل فن هو وليد لحظة تاريخية واجتماعية وثقافية وإنسانية معينة، قديما كانت أو حاضرا. وهو نتاج مختلف في معماره بحسب الشروط الإبداعية التي تواضع عليها الأدباء في أي فترة إبداعية. كما نجد (يوسف حطيني) أعاد إنتاج القصّة القصيرة جدّا للتراث السردي القديم، يقول: "إنّ القصّة القصيرة جدّا نوع أدبي قديم فإنّنا نشير بدقة إلى وجود مختلف أنواع السرد القصير جدّا في التراث العربي والإنساني، وتراثنا العربي غني بالأخبار والحكايات والطرائف...وتعتزّ القصّة القصيرة جدّا بأن لها أصولا في الأدب القديم، وقد جاءت هذه الأصول على شكل حكايات"[9] يقرّ الباحث في قوله هذا

بأنّ القصّة القصيرة جدّا نتجت من صنعة السرود العربية القديمة، ولا يمكن إهمال هذا الامتداد مادامت شروط الحكي متوفرة في تلك القصص؛ وقد شمل التراث عدّة أشكال نثرية مختلفة الألوان والمضامين انتشرت قديما في سياق الحياة الاجتماعية بمختلف هفواتها ومواضيعها، وكل لحظة سريعة حصلت حينها سُجّلت في نادرة أو طرفة وحتى حكاية قصيرة، وعليه يمكن اعتبار هذه المتشابهات بين القصّة القصيرة جدّا والأنواع السردية القديمة بمثابة تطوّر في الأنواع التراثية القديمة.

لكن من ناحية أخرى لا يمكن الجزم بوجود امتداد حتمي وتطور لهذا النوع القصصي القصير جدّا لتلك الأنواع الأدبية، خصوصا وأنّ الأزمان الأدبية تختلف من زمن لآخر، فالمقامة على سبيل المثال سيقت في عصر طغى فيه الاستبداد وطغيان الملوك ومختلف المظاهر الاجتماعية الفاسدة، وهذا تطلّب خلق نمط حكائي بليغ كرسالة تعليمية وعظية تدعو لتحسين المجتمعات، وهذا الفن ظهر في ظروف ملائمة لاستمراره وحضوره في مختلف الخطابات. إضافة إلى أنّ النقّاد لم يتفقوا على فترة زمنية معينة وُلد فيها هذا المولود الجديد، بدليل وجود تواريخ متعددة ومختلفة لمن كانت له أولوية الريادة، وقد ظهر في مختلف الأقطار العربية منها والغربية، وساعدت على نشره موجة الصحافة ومختلف النشاطات الثقافية، والتكنولوجيا فيما بعد. أما (سعاد مسكين) فهي الأخرى اعتبرت هذا الفن تابعا للأشكال السردية القديمة، مادامت بوادر ظهوره موجودة منذ القديم على شكل أنواع سردية حكائية قصيرة جدّا" لديها عناصر تتوافق والخبر في القديم، القصر والإيجاز الذي يجعل كلاّ منهما ينبني على وحدة سردية صغيرة لا تتجاوز الحدث الواحد، التركيز على الوحدة العضوية في كلّ منهما"[10] ترى الباحثة في هذا الفن نموذجا مركبا على شاكلة الخبر قديما؛ حيث أخذ عنه تيمات القصر والإيجاز والوحدة العضوية، ومثل هذه العناصر بالضرورة موجودة في التشكيلة القصصية لبنيتها وخصوصا الحجم القصير جدّا. كلّ النصوص القصصية تحتوي الحدث والوحدة العضوية، فكيف (لسعاد مسكين) أن تعدّ هذا المقياس علامة على امتداد هذا الفن للتراث السردي القديم، فالسرود قديما كانت تُصاغ بعفوية، لا تستند في الغالب على قوانين سردية معينة، كما أنّها لا تعتّد بالوحدة العضوية. واهتمامهم كان بارزا أكثر بالمقامات وسياق الحال الذي قيلت فيه؛ بحيث تعتمد التفنّن في التعابير والتصوير البلاغي وجمال الأسلوب لذا عدّها النقّاد حكاية. أمّا هذا الفن فهو خطاب قصصي مختار

بعناية له خصائصه الذاتية، ويركّز القاص في تكوينه لنصّه على الوحدة العضوية والتكثيف أكثر من اهتمامه بسياق القصّة أو المقصدية فيه، وأغلب القصص القصيرة جدّا نلمح فيها تشتّت وحداتها اللفظية، وتشكيلها البصري أو الطباعي يبدو وكأنّه نصّ مفكّك وكلماته مبعثرة، لكن ذاك التفكيك والتوزيع الطبوغرافي والطباعي لكلماته، والبياضات وغياب علامات الترقيم أحيانا، يثبت أن هذا الفن جديد في معطياته، ووحدته العضوية تحقّقت من تشكيلته الغريبة، على خلاف النصوص القصصية القصيرة جدّا في السرود القديمة، والتي كان يُراعى فيها علامات الوقف وقواعد اللغة، والتنظيم المتتالي في ملفوظاته، وكذا في ترتيب أحداثه وأفكاره، أمّا القصّة القصيرة جدّا فلا تعتدّ بهذا الترتيب فهي مشتتة الكلمات مبعثرة أحرفها، يغلبها البياض والانكسار الخطّي في عباراتها، وذاك التفكيك هو لب الإبداع وذروة اللذة في الكتابة عند أصحابها، ولا يفهم معناها إلاّ من كان ذا فهم وقراءة عالية.

كما يتوافق شكل القصّة القصيرة جدّا عند (سعاد مسكين) مع النكتة تقول في هذا الصدد: "هناك عناصر بنيوية أساسية في النكتة تحضر في القصّة القصيرة جدّا منها التلميح عوض التصريح، والتثغير (الفجوات) الذي على القارئ ملء بياضاته"[11] يبدو من كلام الباحثة أن هذين الشكلين لا فرق بينهما في بنيتهما التركيبية؛ حيث يحتويان معا نفس عناصر الإضمار والإخفاء في نصّيهما، والقارئ هو من يحاول إنطاق تلك المحذوفات بمخيلته. والنكتة تحمل بين طيات نصّها معاني فكاهية يرسمها الكاتب على رؤوس الكلمات ليخرج في الأخير بنص فكاهي هادف، يخلق متعة القراءة لدى الملتقي، وبالمقابل يشدّه لفهم مغزى الحكي من وراء تلك النكت. بالتالي كلّ النصوص السردية تبطّن بداخلها مقولات لا تفصح عنها؛ بحيث ترقى إلى مصاف القيم الجمالية والبلاغية، بفضل المضمرات التي تزيد من عراقتها وعمقها، والمعاني المتوالدة في جوّانيتها تزيد من إنتاج الدلالات باستمرار، والكاتب المتمكن هو من يستطيع إخفاء تلك الحقائق في نصّه ويدعها للقارئ يؤول كيف يشاء.

أمّا الباحث (جاسم خلف إلياس) فيرى في القصّة القصيرة جدّا كائنا أوجد نفسه انطلاقا من تبنيه للسرود العربية القديمة "فهي تستمد مشروعيتها من أشكال القص الشعبي، والحكاية، والنادرة، والنكتة على وجه الخصوص"[12] فهذا النوع الجديد لم يكن جديد الظهور بل كانت له ملاح سابقة في الوجود في المسار التكويني للأشكال السردية القديمة، حيث تقاسمت معها بعض المعايير القصصية.

خصوصا وأنّها لون أدبي يقترب من السرود القديمة في الشكل والمضمون وبعض الخصائص، فهو إذا نوع أدبي فرعي وتلك الأشكال القديمة أصولا له. انطلاقا من قول الباحث نرى أنّه لا يمكن الأخذ بهذا الخيط الرفيع من المتشابهات بين النصوص، فمشروعية هذا النوع الأدبي إذا كانت مستوحاة من التشكيل السردي القديم، من القصص الشعبية والنوادر وغيرها، فلماذا إذًا وُجدت تصنيفات زمنية فصلت بين الأجناس الأدبية المختلفة، وبالمقابل تصنيفات منهجية حدّدت الخصوصيات الفنّية والجمالية لكل نوع أدبي على مرّ العصور، وكل نص له سياقاته التاريخية الخاصة التي أحاطت به، وساهمت في تشكيل بنيته الداخلية وشروطه المستقلة بذاته، ولاسيما البيئة الاجتماعية والثقافية والمعرفية التي ساهمت في تكوين معماره. لكن قد يكون هناك تشابه بين الأجناس الأدبية؛ باعتبارها نوعا نثريا يندرج ضمن حقل القصّ، والذي يحتوي شروطا سردية حكائية موحدّة، وليس بالضرورة القول بانطلاقها من نصّ قديم، وهذا الكلام يحتاج لدراسة نقدية عميقة تحفر في أصول السرود العربية القديمة، للتأسيس النظري بدقة لفن القصّة القصيرة جدّا، حينها يستطيع الباحث التأصيل لهذا الجنس، ومعرفة بوادر ظهوره إن كانت بعيدة المدى أم أنّه نص جديد الصنعة. يقول (جاسم خلف إلياس) في موضع آخر: "فإنّ الخبر يشكّل النواة الأولى لكتابة القصّة القصيرة جدّا"[13] يعترف الباحث في هذا الطرح بأصالة هذا الفن كونه يمتد لفنّ الخبر والذي يمثل البذرة الأولى التي تشكّل منها. وقد اختلفت آراؤهم في حقيقة هذا الكلام، فهناك من يراه وليدا لأشكال سردية قديمة متنوعة، ومنهم من ركّز على شكل سردي واحد وعدّه نموذجا تطوّرت عنه القصّة القصيرة جدّا كما فعل (جاسم خلف إلياس)، بالتالي كثرت المقولات واختلفت الحقائق؛ وقد تأكّد هذا الخلاف وتوضّح الفرق بالمقارنات التي وقف عندها النقّاد بين تكوين القصّة القصيرة جدّا وبين تكوين الأجناس الأدبية الأخرى لمعرفة أيهم أقرب إلى معمارها، وذلك انطلاقا من عمليات الوصف والتحليل والتفسير للبنية الداخلية لكل نوع أدبي، ثم العمل على المقاربة التقابلية بينها لاستخلاص المتشابهات والمختلفات. وعليه يمكن اعتبار هذا الفن شبيها بتلك الأشكال القديمة وليس وليدا عنها، إلاّ البعض منها؛ لأنّه لحد الآن لايزال قيد التجريب والدراسة، وهو مشروع لم يُسنده النقّاد للتراث القديم إلاّ بسبب تلك المتشابهات، ولم يضم للمنظومة الإبداعية إلى غاية الاتفاق على مشروعيته جنسا مستقلا بذاته.

كما يرى الباحث في النادرة أو الطرفة أيضا أنها "تتحول إلى قصّة قصيرة جدّا وهي قصيرة نسبيا وذات محتوى يتمثل في مغزى تدور حوله النادرة، إمّا في شكل انتقاد أو سخرية، وتشكّل المفارقة القاسم المشترك بينهما"[14] نجد الرأي نفسه عند الباحث حول الأشكال السردية القديمة، حيث جعلها بمثابة النص الأول الشبيه لهذا المولود الجديد، منه تتداعى وعليه تتشكّل. كما تلتقي "الأسطورة مع القصّة القصيرة جدّا من ناحية كونها تقف بين التاريخ والخيال...ولأنها لا تستطيع صياغة خطابها بعيدا عن الرموز والمجازات التي تصوغ وفاءها الفعّال لإنسانيتها من خلال التعبير عن المشاكل الشمولية التي تحيط بالإنسان"[15]. يرى (جاسم خلف إلياس) في النادرة والأسطورة والخبر أقرب الأشكال السردية للقصّة القصيرة جدّا، لما فيها من عناصر تتشابه ومكوناتها. صحيح هناك تقارب بينها، لكن هذا التشابه لا يمكن اعتماده في التأصيل لهذا اللون الأدبي الجديد، على غرار أن كل الأنواع الأدبية تتشابه فيما بينها، والانتقاد والسخرية والمفارقة التي يتحدث عنها الباحث حمولتها الدلالية والجمالية مغايرة عن الحمولة المحتوات في عناصر القصّة القصيرة جدّا من السخرية والمفارقة والانتقاد، بالتالي كل نصّ له طبيعته الخاصّة به. لا يمكن القول مثلا إن أصل قصيدة النثر هو المقامة بمجرد التقارب بينهما، فكل جنس هو من جنس بيئته ويُخلق وفق المقام الذي تطلّب قيامه. لذلك يمكن عدّ هذا التقارب هو من قبيل المتشابهات في الخطاب النثري والتشارك في بعض الصفات، ولا يمكن اعتباره هو الأساس في تصنيف الأصول والفروع في الأجناس الأدبية، وتصنيف القصّة القصيرة جدّا يحتاج لمزيد من الدراسات والتنظيرات النقدية حتى يثبت انتماءه وجذوره.

3-القصة القصيرة جدّا وعلاقتها بالحداثة:

أخذت القصّة القصيرة جدّا نطاقا واسعا منذ ظهورها، وقد زاد انتشارها أكثر مع عصر الرقمنة وفكر ما بعد الحداثة، حيث صار هذا النوع الجديد يمتلك طواعية استيعاب المستجدات والأحداث السريعة التي عرفها العالم، لتصبح بذلك هي الوعاء الذي يحتوي الأحداث الكبرى والصغرى، لهذا حظيت باهتمام النقّاد والباحثين وصنّفوها من منتجات الفكر الحداثي وما بعده، معتبرين معمارها من تنشئة الوسط التكنولوجي، وعصر السرعة. ومن الباحثين الذين تبنوا هذا الموقف نجد (مصطفى ولد يوسف) الذي عدّه من تداعيات الحضارة المعاصرة، وكائنا جاء تماشيا مع متطلبات

سوق الإنتاج والإبداع، يقول: "إنّ القصّة القصيرة جدّا أنموذج لذلك الإبداع المستقبلي الذي يواكب المتخيل الافتراضي، وظهور الثقافة الموسميّة التي تخضع لسوق العرض والطلب، فهذا الأنموذج الكتابي يؤسس لكتابة مختزلة ذات حمولة دلالية ووصفية إيحائية وهزلية، يجب أن لا نستهين بها، حيث المنجز السردي المكثّف"[16] يرى الباحث في هذا النوع الأدبي فنّا حديث الظهور تجلّى التماسا لظروف الحياة المعاصرة، ومستجداتها السريعة، وصورة لمظاهر التطور والتحولات على مختلف الأصعدة التي استدعت نصّا له قابلية التشبّع بتلك الأحداث الخاطفة، والقصّة القصيرة جدّا بمعاييرها التكثيفية والتبليغية استطاعت أن تبلغ كل حدود اللحظات السريعة، والمتحولة في مختلف مسارات الحياة، لتصبح بذلك نصّا مطلوبا على مستوى الحاجة الإبداعية بكثرة، ليختار العديد من الكتّاب طريق القصّة القصيرة جدّا للتعبير عن مختلف القضايا في هذا العالم المعقّد. يقول (مصطفى ولد يوسف) في مقام آخر "القصّة القصيرة جدّا وليدة مجتمع حداثي وبرجوازي، تنوّعت فيه آليات النشر المعرفي كالصحافة مثلا، ومفتوح على أكثر من استراتيجية سياسية واقتصادية وثقافية، فالقصّة القصيرة جزء من هذه الاستراتيجيات المعرفية"[17] اتجه الباحث بقوله هذا إلى رؤيا واسعة اعتبر فيها هذا الفن نتيجة حتمية لإفرازات التطور التكنولوجي والمعرفي. وأيّ خطاب مختصر وسريع صار يوضع في قالب قصصي قصير جدّا ويوجّه للقارئ بصورة نص رقمي ترابطي أو نص ورقي موجز، خصوصا وأنّه لديه طواعية التعامل مع كلّ محطات الحياة، إلى جانب قدراته في الاندماج مع العالم الافتراضي. وفي سياق آخر ينتقد الباحث النقّاد الذين اعتبروا هذا الفن امتدادا للسرود العربية القديمة، يقول "وقد وقع الباحث جميل حمداوي في الخطأ المعرفي الذي وقعت فيه الباحثة عزيزة مريدان عندما يقول بأنّ للقصّة القصيرة جدّا جذورا عربية قديمة تتمثّل في أخبار البخلاء واللصوص والمغفلين والحمقى، بل يجزم بأنّ النوع–وسمّاه فنّا– امتدادٌ تراثي للنادرة والنكتة واللغز...وهذا ما يتعارض مع قانون المتشبهات، حيث تشبه القصّة القصيرة جدّا النكتة أو النادرة، لكنها ليست تطويرا طبيعيا لها، وإنما جنس قائم بذاته أخذ بأسباب تطور الحياة العصرية، فهو إذن منتج المرحلة الثقافية الراهنة والثورة الرقمية"[18].

تعدّ وجهة نظر (مصطفى ولد يوسف) مغايرة عن وجهة نظر (جميل حمداوي وعزيزة مريدان)؛ حيث خالفهما في قضية تصنيف هذا الفنّ مع مواليد السرود العربية القديمة، معتبرا ذلك من باب

الحشو في منهجية النقد والخطأ في التفرقة بين كلّ ما هو جديد وقديم. فهو –في نظره– وليد اللحظة المعاصرة؛ وذلك بوصفه نموذجا فنّيا توفّرت فيه تيمات جديدة، ليصير بتلك الصفات خلاصة التجارب الحديثة، ومشهد اللحظات السريعة، وعلى هذا الأساس لا يمكن الجزم بامتداده لتلك الأشكال النثرية القديمة بمجرد التشابه بينهما. من خلال هذا النقد الذي قدّمه مصطفى ولد يوسف في حقّ الباحثين، نلاحظ وجهة نظر نقدية دقيقة للباحث؛ كونه وقف على حيثيات الظاهرة النقدية للباحثين في تنظيرهما للقصّة القصيرة جدّا، حيث عاد للوراء لدراسة التراث العربي القديم، مستخلصا بعدها أنّ كل جنس أدبي هو ابن بيئته، وإن اجتمعت عدّة صفات بين مختلف الأجناس يبقى لكل جنس معالمه، وتكوينه وبيئته الخاصّة التي نشأ فيها، بالتالي نرى أنّه لم يحبس مكونات هذا النوع الأدبي في حدود المتشابه والتكرار للنصوص الأدبية القديمة، بل حاول إعطاءه صفة الحداثة والتجديد؛ نظرا لأنّ تكوينه ومواصفاته الشكلية والمضمونية تصلح لمقامات وسياقات قيلت في زمن متأخر جدّا. يقول مصطفى ولد يوسف في هذا الصدد: "لابد أن نسلم بفكرة أنّ القصّة القصيرة جدّا وليدة العصر الحديث، وكلّ مقاربة عن معرفة العرب بها في العصور الماضية خطأ منهجي وعلمي فاضح"[19] ينفي الباحث بقوله هذا كلّ انتماء لهذا الفن إلى السرود العربية القديمة، ومن عالجها في حقل التراث عدّ عمله هذا خروجا عن الدقة المنهجية والخطأ في مقاربة النصوص الإبداعية. أمّا (حميد لحمداني) فهو الآخر عالج القصّة القصيرة جدّا من وجهة نظر حداثية ومعاصرة، معتبرا إيّاها خلاصة التجارب الإلكترونية المبرمجة على صفحات الويب، يقول عنها: "القصّة القصيرة جدّا مرتبطة بعصر النص الترابطي والنص الشبكي، وهي لذلك تحاول بجميع الوسائل الفنّية الممكنة أن تتكيف مع خصائص هذا العصر الجديد"[20] صنّف الباحث هذا اللون الأدبي الجديد ضمن السرود العربية الجديدة التي سايرت متطلبات العصر الرقمي، وعليه اختار الكتّاب هذا النوع الجديد قلما لتوصيف العالم بأصغر نصّ قصصي ممكن يستغني عن الحشو والاستطالة في الحكي.

يرى (حميد لحمداني) أنّه "من الضروري أن تتكيف القصّة القصيرة مع عصر الويب بامتياز، وقد حوّلت بنيتها القصيرة جدّا إلى عالم من الروابط المتعددة مع النصوص الشعرية والأخبار، واللقطات السينمائية والتصويرية والمسرحية فضلا عن علاقتها بالنكتة والنادرة، كما أنّ حجمها القصير جدّا

ولغتها التلغرافية الآلية جعلاها تحتل المرتبة المرئية القصوى في سرعة التداول بين القرّاء"[21] عدّ الباحث هذا المولود الجديد نوعا أدبيا متعدد المشارب والمعارف، وذلك لقدرة انفتاحه على مختلف الأجناس الأدبية الأخرى، وعليه صار نصّا يسهل التعامل معه ودمجه في مختلف الروابط الإلكترونية، نظرا لما يتمتّع به من تيمات التكثيف واحتضان العديد من الأنواع الأدبية في نسيجه. وتشكيلاته البصرية الحداثية فتحت له أفق الانتشار والتعالق النصّي والافتراضي على صفحات الشاشة الزرقاء، ليصبح نصّا خطابيا إلكترونيا متداولا في شتّى مجالات الحياة، خصوصا وأنّ جماليات التلقي اليوم صارت مبنية على أسس التفاعل بين المبدع والمتلقي، وفي الأخير نجد الباحث (محمد أقضاض) له الرأي نفسه فيما يخصّ حداثة القصّة القصيرة جدّا، حيث يرى فيها لونا أدبيا حديثا ولا علاقة له بالسرود العربية القديمة "إنّ القصّة القصيرة جدّا هي شكل قصصي أدبي فرضته شروط الزمن الراهن بكل خصائصه، وتعقيداته وسرعة حركيته وأنا مع الباحثة نانارودريكيس روميرو حين تقول "كلّ مرحلة تتطلب أشكال التعبير التخييلية وتقنياتها الجمالية وحجم النصوص والرؤيات للعالم، وليست القصّة القصيرة جدّا إلاّ نتاجا لمرحلة ما بعد الحداثة"[22](*) يقف الباحث بقوله هذا عند عتبة القصص المعاصرة، مستشهدا بكلام الباحثة (نانارودريكيس) التي ترى في المنتجات القصصية القصيرة جدّا وليدة اللحظة الراهنة، وليدة اللحظات الحاسمة عند كلّ كاتب أراد التعبير عن حالة إنسانية، عاشها بألم أو فرح أو حزن، وليدة لحظة حضارية أراد الكاتب أن يختصرها في بضع كلمات، ملونة بمختلف التعابير الإنسانية المختلطة بشيء من قساوة الحياة، وتغيّر الظروف. وسرعة الزمن الذي صار صعبا على المؤرخ الإمساك به لتدوينه في كتب التاريخ. فصار القاص هو المبدع وهو المؤرخ، والكلمة المختصرة في تلك القصيصات هي التاريخ الذي يسجّل. وهذا ما أكّده (شارل جونسون) بقوله: "إنّ القصّة القصيرة جدّا هي ثمرة مرحلة السرعة في كلّ شيء، حيث الإيقاعات مشروطة بإعلام ذي برامج تتوقف لتمرير تسع دقائق لمقاطع موسيقية وإعلانات عن مطاعم الأكلات السريع"[23] عدّ الباحث هذا النوع الأدبي الجديد خلاصة التجارب الإنسانية السريعة والمفاجئة، وحوصلة حتمية لإفرازات الحياة، بالتالي صار هذا الفن هو النموذج الإبداعي الأكثر ممارسة من طرف الكتّاب لما له من طواعية التعامل مع عصر السرعة.

وفي سياق آخر يقول (حسين المناصرة): "هذه هي حال القصّة القصيرة جدّا، أن تقع ضمن دائرة المغامرة والتجريب، وأن تسير في طريق الانفتاح على الأجناس الأدبية الأخرى وعلى الحياة، وأن تتقصّد جماليات التحطيم أو التكسير، لما تمّ التعارف عليه في بناء الحكاية التقليدية أو النصّ السردي التقليدي، مع كون اصطلاح المغامرة والتجريب هنا لا يعني الفوضى والتلاعب بعناصر السّرد الحاضرة أو الغائبة على طريقة (خالف تعرف)..فيكتب نصّا قصصيا إشكالية يحطّم البناء التقليدي للسّرد، فيبدأ من النهاية، أو يعتمد على تيار الوعي، أو يغيّب الفكرة، أو يعطّل الزمن...على سبيل المغامرة والتجريب في مجال هذه الكتابة السردية الأكثر تطوّرا ومعاصرة"[24] يبدو من كلام (حسين المناصرة) أنّه من دعاة التجريب والبحث عن الجديد في العمل الإبداعي، وسعيه لتطوير هذا الفنّ، من خلال إقحامه في فضاء التحوير والتحويل على مستوى معمارها، وذلك للخروج من نمطية الحكي القديم، وتخليد هذا النوع بصورة معاصرة تنبئ عن وعي الكاتب بمستجدات التطوّر الحضاري، والثقافي، والمعرفي، بالتالي أضحى التجريب والمغامرة في السرد من ضروريات الكتابة العليا، وذلك لتحقيق الجماليات الفنّية المطلوبة لرقي هذا الفنّ. وفعلا أي تطوير لعناصر السرد من الحدث والشخصيات واللغة والأسلوب، يحيل إلى كسر القواعد التي تجعل من النص بنية رتيبة ومغلقة، وهذا الفن لا يمكن الإمساك به، فهو نصٌّ هلاميّ مفتوح على نفسه وعلى باقي الأجناس الأدبية، إضافة إلى أنّه نصّ لا ثبات لبدايته ونهايته ووسطه، من ثمّ فهو نصُّ المغامرة والمعاني اللاّمتناهية. دعا الباحث إلى عدم ترك التراث والاهتمام فقط بالجديد؛ فالسرود القديمة هي اللبنة الأولى التي قام عليها الأدب الحديث، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تهشيم كلّ ما هو قديم، إذ على القاصّ العودة إليه في إطار التجريب، وإعادة صياغته بأنماط وأساليب معاصرة تُذهب عنه الثبات والركود. ليصبح هذا الفن من خلال هذا التغيير نصّا مفتوحا على كلّ العوالم والأزمان والأجناس الأدبية المختلفة.

بناء على ما سبق يمكن القول: إنّ القصّة القصيرة جدّا تحتمل كل الآراء؛ فهي تحتوي جذورا تمتد بها إلى السرود العربية القديمة، وذلك لوجود قوانين حقّقت المشابهة بينها وبين باقي الأجناس الأخرى والمتمثلة في: "قانون المماثلة: ويقصد به وجود تشابه بين القصّة القصيرة جدّا والأجناس الأدبية الأخرى...وقانون التواتر والتطور والتغير: ويقصد به وجود عناصر متواترة ومتكررة في النصوص

الأدبية عبر تطورها التاريخي كالإيحاء والترميز والتناص... وقانون الثبات: ويقصد به العناصر الجوهرية الثابتة التي تميّز الجنس الأدبي وتجعله ينفرد بها عن باقي الأنواع الأدبية. وقانون العدد ويقصد به: وجود عدد من العناصر تتشارك فيها مجموعة أجناس أدبية وبها يتحدّد الجنس الأدبي، وقانون المقارنة والمشابهة بين الأجناس الأدبية"[25] فالشروط التي وضعها (جميل حمداوي) جاءت بمثابة مقاييس لدعم الرأي القائل بتطور القصّة القصيرة جدّا من أشكال سردية قديمة إلى صورتها النهائية، من ثمّة صار لزاما التماس هذه القوانين لمأسسة هذا المولود الجديد والنظر في خلفياته الابستيمولوجية والتاريخية لضبط تأصيله الصحيح، وفي المقابل ظهر الرأي المناصر لفكرة استقلالية القصّة القصيرة جدّا عن كل الموروثات النثرية القديمة واعتبارها كائنا مستخلصا من تراكمات الفكر الحداثي وما بعده، وذلك بوصفها فنّا أدبيا يحمل في طياته حمولات نسقية معاصرة في تمظهراته وفي تشكيلته.

خاتمة:

تبقى المقولات النقدية التي قدّمها النقّاد في حقّ القصّة القصيرة جدّا مجرّد آراء لم يتم تثبيتها بعد، مادامت مولودا أدبيا لم يستقل بذاته بعد، ولم يصنّف ضمن منظومة الأجناس الأدبية، وأغلب الباحثين يرون فيه نوعا جديدا ما دامت تيماته وخصوصياته تقترب من صفات النص الحديث والمعاصر، لكن يبقى التراث على العموم حلقة وصل دائمة بين النوع الأدبي وباقي الموروثات الأدبية، وحتمية التطور في النوع الأدبي حقيقة تاريخية لا شك فيها مادامت الأجناس الأدبية متعالقة فيما بينها، ومترابطة بعمق الأنساق الثقافية والمعرفية والإيديولوجية التي تربطها في مجرةّ واحدة. وعليه يمكن الخروج ببعض النتائج فيما يلي:

-القصّة القصيرة جدّا نموذج سردي حداثي ومعاصر انصهرت صيغته السردية مع التراث العربي القديم، ولذلك شكّك النقّاد في احتمالية تأصيله وعدّه نموذجا حكائيا قديما.

-القصّة القصيرة جدّا فنّ ينفرد بخصوصياته الفنّية والجمالية، بصورة مغايرة عن خصوصيات الأشكال السردية القديمة قلبا وقالبا، ويمكن لها التفوّق مستقبلا على باقي الأجناس الأدبية.

-يمكن للقصّة القصيرة أن تتشابه مع السرود العربية القديمة في بعض تشكيلاتها البنيوية والفنّية، لكن يبقى هذا التماثل من قبيل القاسم المشترك بين الفنون النثرية باعتبارها فنّا سرديا، وجنسا قصصيا يحتوي نفس الحمولات الدلالية والحكائية.

-التطلع نحو المغايرة والتجديد من طرف المبدعين لا يعني أنّهم أحدثوا قطيعة إبستيمولوجية مع التراث، بل هناك من يعتبر العودة إلى الموروث العربي القديم من مظاهر الإبداع والتجريب الفنّي.

-الأشكال السردية القديمة يحكمها الزمن التاريخي القديم الذي عرف مقام نقل الأخبار بين الأفراد، وتسجيل الأحداث التاريخية من باب تدوينها، والقصّة القصيرة جدّا لا يعقل عدّها نموذجا إخباريا، فهي ابنة اللحظات السريعة، وخلاصة التجارب الحياتية البسيطة منها والمعقّدة.

-لا يمكن للقصّة القصيرة جدّا أن توضع في ميزان المقارنة بين الأجناس الأدبية الأخرى، فيجب وضع حدودها التكوينية وتحديد مفاصلها، انطلاقا من توضيح خصوصياتها التي تنفرد بها، حتى يصدق وضعها في مصاف المتشابهات والمختلفات مع باقي الأعمال الإبداعية.

الهوامش والإحالات:

[1]-بيتر بروكر: الحداثة وما بعد الحداثة، تر: عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، ط1، دب، 1995، ص30.

[2]-المرجع نفسه، ص30.

[3]- أحمد جاسم الحسين، القصّة القصيرة جدّا – مقاربة تحليلية، دار التكوين، دمشق-سوريا، 2010، ص11.

[4]- هيثم بهنام بردى، القصّة القصيرة جدّا – الريادة العراقية، ج1، دار غيداء، ط1، عمّان، 2017، ص16.

[5]- نور الدين الفيلالي، القصّة القصيرة جدّا بالمغرب – بحث في مراحل تشكل نوع سردي جديد، ددن، ط1، المغرب، 2012، ص13-14.

[6]- أركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري – دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق- سوريا، 2011، ص180.

[7]-جميل حمداوي: دراسات في القصّة القصيرة جدّا، ددن، ط1، 2013، ص7-8.

[8]- المرجع نفسه: ص8.

[9]- يوسف حطيني، القصّة القصيرة جدّا بين النظرية والتطبيق (الجذور- الواقع- الآفاق) – دراسة مقارنة، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، 2004، ص11.

[10]–ينظر، سعاد مسكين، القصّة القصيرة جدّا في المغرب – تصورات ومقاربات، التنوخي للنشر،ط1، 2011، ص18.

[11]– المرجع نفسه، ص19.

[12]– جاسم خلف إلياس، شعرية القصّة القصيرة جدّا–دراسة، دار نينوى، 2010، ص20–21.

[13]– المرجع نفسه، ص58.

[14]– المرجع نفسه، ص61.

[15]– المرجع نفسه، ص62–63.

[16]–بتصرّف: مصطفى ولد يوسف، في نقد متخيّل الاختزال السّرديّ (من القصّة القصيرة إلى القصّة القصيرة جدّا)، دار الأمل، الجزائر، 2019، ص32.

[17]– المرجع نفسه، ص14.

[18]– المرجع نفسه، ص15.

[19]– المرجع نفسه، ص12.

[20]– حميد لحميداني، سحر الموضوع – عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، ددن، ط2، المغرب، 2014، ص7.

[21]–المرجع نفسه: ص9.

[22]– محمد أقضاض، مقاربة القصّة القصيرة والقصّة القصيرة جدّا في أمريكا–الإسبانية والعالم العربي، فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، 2016، ص159. (*): وقف المفكرون والعلماء الأروبيون عند مسألة المطابقة والتفريق بين الحداثة وما بعد الحداثة أمثال: الفيلسوف "فرانسوا ليوطار" في كتابه (في معنى ما بعد الحداثة)، وعالم الاجتماع "ألان تورين" في كتاب (نقد الحداثة)، وتوصّلا بعد البحث إلى ما يلي: إنّ فكر ما بعد الحداثة هو استمرار للفكر الحداثي وإعادة قراءة له، بالنقد والتقييم والتصحيح.

[23]–المرجع نفسه: ص159.

[24]– ينظر، حسين المناصرة، القصّة القصيرة جدّا –رؤى وجماليات، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد – الأردن، 2015، ص22.

[25]– ينظر، جميل حمداوي، القصّة القصيرة جدّا وإشكالية التجنيس، ددن، ط1، 2016، ص9–17.

قائمة المصادر والمراجع:

1– أحمد جاسم الحسين، القصّة القصيرة جدّا–مقاربة تحليلية، دار التكوين، دمشق–سوريا، 2010.

2– أركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري – دراسات في الأدب العربي منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق– سوريا، 2011.

3– بيتر بروكر: الحداثة وما بعد الحداثة، تر: عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، ط1، 1995.

4– جاسم خلف إلياس، شعرية القصّة القصيرة جدّا–دراسة، دار نينوى، 2010.

5– جميل حمداوي، القصّة القصيرة جدّا وإشكالية التجنيس، ددن، ط1، 2016.

6– جميل حمداوي، دراسات في القصّة القصيرة جدّا، ددن، ط1، 2013.

7– حسين المناصرة، القصّة القصيرة جدّا –رؤى وجماليات، علم الكتب الحديث، ط1، إربد – الأردن، 2015.

8- حميد لحميداني، سحر الموضوع – عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، دون دار نشر، ط2، المغرب، 2014.
9- سعاد مسكين، القصّة القصيرة جدّا في المغرب – تصورات ومقاربات، دار التنوخي، ط1، 2011.
10- ذكريات محمود حرب: القصّة القصيرة جدّا في الأردن – الرؤية، والبنية، وتقنيات السّرد- دراسة نقدية، فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، 2019.
11- محمد أقضاض، مقاربة القصّة القصيرة والقصّة القصيرة جدّا في أمريكا-الإسبانية والعالم العربي، فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، 2016.
12- مصطفى ولد يوسف، في نقد متخيّل الاختزال السّرديّ (من القصّة القصيرة إلى القصّة القصيرة جدّا)، دار الأمل، الجزائر، 2019.
13- نور الدين الفيلالي، القصّة القصيرة جدّا بالمغرب – بحث في مراحل تشكل نوع سردي جديد، ددن، ط1، المغرب، 2012.
14- هيثم بهنام بردى، القصّة القصيرة جدّا – الريادة العراقية، ج1، دار غيداء، ط1، عمّان، 2017.
15-يوسف حطيني، القصّة القصيرة جدّا بين النظرية والتطبيق (الجذور- الواقع- الآفاق) – دراسة مقارنة، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، 2004.